

## الموشحات المصرية

ظهر الموشح بالأندلس في القرن الثالث للهجرة لكنه كان في هذا القرن فجا لم توضح أسسه وأصوله بعد، شأنه في ذلك شأن ابتداء أي فن آخر، ولم يتخذ طابعه إلا في القرن الرابع للهجرة؛ إذ أصبح فنا له أصوله وقواعده، وظهر كثير من الموشاحين في الأندلس أمثال ابن بقی والتطيلي وغيرهما، وانتقل هذا الفن إلى بلاد المشرق وإلى مصر في العصر الفاطمي وعرف بها على أنه فن شعبي مثل غيره من فنون الشعر الشعبية التي كانت بمصر مثل الزكالكش والبلاليق، فلا غرابة إذن أن نرى فن الموشح يزدهر في مصر في عصر بني أيوب بل يظهر لأول مرة في تاريخ هذا الفن كتاب مصري يوضح أصول هذا الفن وأسسها بطريقة علمية لم يسبق إليها، هذا الكتاب هو «دار الطراز» لابن سناء الملك<sup>(١)</sup> ويصرح ابن سناء الملك «ولم أر أحدا صنف في أصولها ما يكون للمتعلم مثلا يحتذى وسببلا يقتفى جمعت في هذه الأوراق ما لا بد لمن يعاينها «أعنى الموشحات» ويعنى بها من معرفته ولا غناء به عن تفصيله وجملته ليكون للمنتهى تذكرة وللمبتدى تبصرة»<sup>(٢)</sup> فالمصريون إذن هم أول من صنفوا في فن الموشحات، بالرغم أنه فن دخيل عليهم. والأصل في الموشح الأندلسي كما جاء في كتاب دار الطراز أنه كلام منظوم على وزن مخصوص يتألف في الأكثر من ستة أفعال وخمسة أبيات تتردد في الموشح، ويقال له الموشح التام، وفي الأقل من خمسة أفعال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع، وسرى أن الموشحين المصريين لم يتقيدوا بهذا العدد أو ذلك، والتام يبتدىء بأفقاله والأقرع يبتدىء بأبياته.

أما الأفعال فهي أجزاء مؤلفة يجب أن يكون كل قفل منها متفقا مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد أجزاءها، والأبيات أجزاء مؤلفة مفردة أو مركبة يلزم في كل بيت منها أن يكون متفقا مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعدد أجزاءها لا في قوافيها، بل يحسن أن تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر. وأقل ما يتركب القفل من جزئين إلى ثمانية أجزاء والبيت ثلاثة أجزاء. فمن أمثلة الموشح التام قول ابن سناء الملك:

(١) نشر هذا الكتاب الدكتور جودة الركابي بدمشق سنة ١٩٤٩.

(٢) دار الطراز ص ٢٤.

أهوى قمر - أحوى أغر - حلو الرضاب - ألمى  
وعاذلى لما نهى - عن التصابى - أعمى  
البيس ضنك جهرا واكتم هـواك سـرا  
وأذرف الدموع تـبرا وارمى العذول بـرا  
فلو نظر - كان أمر - بضعف ما بى - حتما  
وما نهى بل كان قد عد مصابى غنما  
هل تعلمون من بى حسبى هـواه حسبى  
يا حرّ نار قلبى زديا هوى فى كربى  
ويا سهر فلا تذر وباكتيابى مما  
أردت فافعل لا تخف على عقابى إثما  
مالى عنك مذهب كيف وأنت المطلب  
لك الطراز المذهب لك النقى الأشنـب  
مثل الدرر - مثل الزهر - مثل الحباب نظما  
لك الذى نسميه خصرا كالسراب وهما  
كالببر بى عقوقك لأننى مشوقك  
أعطش إذا أدوقك وكالزلال ريقك  
فيه خصر ومعتبر زاد التهابى بالمّا  
وكلما شربت من ذاك الشراب أظما  
وغداة مختاله ما صلحت إلا لله  
غننت بشرح الحالة إذ خـرق الغلاله  
لما عبر وقد سكر خرق ثيابى ظلما  
فى حل هو لا تنقلوا من عتابى كلما

«فأهوى قمر، فلو نظر، ويا سهر، ومثل الدرر، ولما عبر» كل هذه هى بداية الأقفال الستة وما بعدها هى الأبيات. والقفل الأخير فى الموشح هو ما يعرف بالخرجة، ويشترط فى الخرجة أن تكون على مذهب مدرسة التحامق الذى رأيناه فى العصر الفاطمى، وأن تكون ملحونة ومن ألفاظ العامة؛ فإن كانت معربة خرج الموشح من أن يكون موشحا إلا إن كان الموشح فى المدح وذكر المدوح فى الخرجة فيحسن فى هذه الحالة أن تكون الخرجة

معربة، وقد تكون الخرجة معربة وإن لم يكن فيها اسم الممدوح ولكن بشرط أن تكون ألفاظها في منتهى الرقة. والمفروض في الخرجة أن يجعل الخروج إليها استطرادا وقولا مستعارا، وأكثر ما تجعل على ألسنة الصبيان والنساء والسكرارى، وفي هذه الحالة لا بد في البيت الذى قبل الخرجة: من قال أو قالت أو غنى أو غنيت أو ما فى معناها، ففى الموشح السابق نجد الخرجة معربة ذات ألفاظ رقيقة لها وقع خاص.

والموشح الأقرع ذو الخرجة العامية مثل قول ابن سناء الملك أيضا:

دانت لى الدنيا	وواصل الوصلا
من هولى محيا	وصار لى خلا
لا أسمع النهيا	فيه ولا العذلا
ما أعطر اللقيا	له وما أحلا

تلك الخلس - من النفس - أو اللعس - لقد كمل - بدر طرق مثل الفلق - تحت الغسق - حتى سرق ألباب أهل الصواب.

ما صال حتى صاد	بطرفه الوسنان
وصير الآساد	فرائس الغزلان
وأخلف الميعاد	وأخجل السلوان
جبينه الوقاد	إن شئت والفتان

فيه قبس - تحت الغلس - وقد حرس - ورد الخجل - نبل رشق حتى أبق - قلبى فرق - فلاحق نشاب بها نصاب.

هذا هو الباطل	حقا بلا شك
وإنما القائل	صدقا بلا إفك
من يمدح الفاضل	بالدر فى السلك
الواصل الصائل	والغارس الملك

لما جلس - وقد رأس - فكم غرس - من الدول، وكم رتق - ممن فتق وما لحق - لما خلق - وهاب بلا حساب.

وجرت الأقدار	بحسب إيثاره
وسارت الأخبار	بحسن آثاره

كم ملك جبار      سعى إلى داره  
وراح لما حار      فى عظم مقداره

إذا عبس - فقد حبس - كل نفس - من الوجل وإن نطق فالسحر حق - وإن رزق - فاخشى  
غرق - سحاب ذيل السحاب.

وأهيف ألمى      كدمية المحراب  
هامت به أسما      وللهوى أسباب  
وهو بها معمى      وهكذا الأحباب  
قالت له لما      غلقت الأبواب

بأنه لس - تبوسنى بس - دع ذا الهوس - وذا الكسل وقم ودق - واركب وسق - وازرع  
وشق - ومن يدق الباب ما له جواب.

والموشح إما أن يكون على أوزان الشعر العربى المعروفة ، أو مالا وزن له فى الشعر ،  
وهذا هو الأكثر ، فمن أمثلة الموشح غير الموزون قول نصير الإدفوى المتوفى سنة ٥٦٠ هـ  
ونلاحظ أن هذا الموشح ليس على نهج الموشحات الأندلسية فى عدد أقفاله وأبياته بل زاد  
على العدد زيادة ملحوظة ، وأن خرجته ليست بالعامية كما تقتضى ذلك الموشحات ، ثم إن  
أوزانه لا تجرى على أوزان الشعر المعروفة ، وهذا كله إن دل على شىء فإنما يدل على أن  
مصر تقبلت هذا الفن الأندلسى وسرعان ما فتنت به وأكثرت منه ، ولكنها بتأثير شخصيتها  
وقوتها الهاضمة استطاعت أن تغير من أصول هذا الفن ، وتتلاعب به وتخرجه شيئاً لم يؤلف  
من قبل ، وهاهو موشح نصير الإدفوى الذى كان يحفظه أهل إدفو وينشدونه فى هذا العصر<sup>(١)</sup>  
وهو من نوع الموشح التام بيته من ثلاث فقر وثلاثة أجزاء ، وقفله من ستة أجزاء.

يا طلعة الهلال	هل لالى	فى الحب منتظر
يا غاية الأمالى	أمالى	من الهوى مفر
أما لدائى راقى	من راقى	قدرا على الأنام
زها بحسن الساقى	والساقى	من ريقة المدام
به فؤادى باقى	والباقى	فى لجة الغرام
سست والخلاق	أخلاقى	بالصبر إذ هجر
فلذ للمذاقى	مذاقى	فى حبه السهر

(١) الإدفوى: الطالع السعيد ص ٢٩٠.

هل من فتى يسعى فى  
 إن ممال بالأرداف  
 مكممل الأوصاف  
 عقلى وحكمو الجافى  
 فكم من الإسراف  
 أزرى الجبين الحالى  
 إذ فباق بالكمال  
 عن ابنة الدوالى

وقد بذلت المال  
 وقال إذ ألوى لى  
 يا غصن بان مائل  
 إرثى لدمعى السائل  
 ولا تطيع العاذل  
 وإن تزرنى قابل  
 كى ينجلى يا فاضل  
 يا منتهى الأمالى  
 إرثى لجسمى البالى  
 وقد بذلت الغالى  
 وفيك قد ألقى لى  
 وقطعت أوصالى  
 إن جرت بين السرب  
 (ومل) بهم وعج بى  
 وطف بهم يا صاحبى  
 وإن تقضى نحبى  
 وانزل بهم والطف بى  
 لم أنس إذ عنانى

أومى لى  
 الوالى  
 يا مائلى  
 يا سائلى  
 يا عاذلى  
 فى قابلى  
 الفاضل  
 أمالى  
 يا ببالى  
 يا غالى  
 يا قالى  
 يا صالى  
 فسر بى  
 فعجبى  
 وصح بى  
 فنح بى  
 وطف بى  
 أعنانى

باللحظ إذ نظر  
 يُرفع له الخبر  
 دعنى لشقوتى  
 عن حال قصتى  
 وارفق بمهجتى  
 أفوز بالنظر  
 فى حالة الغير  
 فى الحب من مجير  
 وارحم فتى أسير  
 فى القدر يا أمير  
 هجرانك الضرر  
 بقتلى سقر  
 عن حيهم قليل  
 قلبى بهم نحيل  
 أبكوا على القتيل  
 فى السهل والوعر  
 فى البدو والحضر  
 والليل قد هدا

وقال إذ حياني	أحياني	روحي لك الفدا
واهتز بالأردان	أرداني	إذ قام منشدا
وطائر الأفنان	أفناني	إذ لاح في السحر
وهاتف الآذان	آذاني	إذ نبه البشر <sup>(١)</sup>

وأشيد المصريون الموشح في كل غرض من أغراض الشعر ولا سيما في المجون والمدح والغزل، فمن أمثلة المدح قول ابن النبيه يمدح الملك الأشرف وهو من الموشح الأقرع، بيته من جزئين، وقفله من أربعة أجزاء، ونلاحظ أن خرجته معربة:

قل لمن يلوم	في مهفهب أسمر
قده القويم	في كتيب أعفر
ثغره النظيم	مسكرو مسكر
آه لو سقاني.. أطفالاً نيراني..	درة ثمينة.. في الياقوت مكنونة
ما أشد حالي	إذا لم أر خدك
بنيت يا غزالي	ووكلت بي صدك
طالت الليالي	بي تلفت من بعدك
هل أراك داني.. فتفرح يا جاني..	مهجة حزينه.. في يديك مرهونة
تطيب الحميا	إذا كان ساقينا
واضح المحيا	كغصن النقالينا
قال لي هنيا	فقل يا مغنينا
لين البنان.. محياه بستاني..	لو يغضض جفونه.. جنيت نسرينه
أنا عبد موسى	أبى الفتح شاه أرمن
كم أحيا كعيسى	ميتا ولم يدفن
أخجل الشموسا	بوجه له أحسن
واحد الزمان.. فليس له ثاني..	صاحب السكينة.. للدنيا به زينة
هازم الحجافل	يوم ضيقة الأنفاس
ابن الملك العادل	صاحب الندى والباس

(١) الإدقوى: الطالع السعيد ص ٣٩٠.

أخو الملك الكامل      خيار جياذ الناس  
بالسبع المثاني.. أعيد سلطاني.. من رأى جبينه.. رأى المشتري دونه  
سيدي يصرغ      جليل الطير  
بالعقاب يكنى      فاتح لبب الخير  
كم به معنى      ما ارتضى بالغير

دمت بالتهاني.. وعدوك الفاني.. ذام فى غبينه.. بالهموم مقرونة<sup>(١)</sup>

هكذا أسهم المصريون فى هذا الفن، وأصبح فنا من الفنون المحببة إلى الخاصة وإلى الشعب، وتغنى الناس بالموشح كما تغنوا بالزكالكش والبلاليق.

ابن سناء الملك (٥٥٠ هـ - ٦٠٨ هـ)

أبو القاسم هبة الله بن القاضى الرشيد أبى الفضل جعفر بن المعتمد سناء الملك بن محمد بن هبة الله السعدى ويلقب بالقاضى السعيد ويعرف دائما فى الكتب الأدبية والتاريخية بابن سناء الملك، يعد ابن سناء الملك من أكبر شعراء مصر فى العصر الأيوبي ومن أكثرهم إنتاجا للمنظوم والمنتثور.

وصفه ابن خلكان بقوله «صاحب ديوان الشعر البديع والنظم الرائق، أحد الفضلاء الرؤساء النبلاء، وكان كثير التخصص والتنعم، وافر السعادة محظوظا من الدنيا»<sup>(٢)</sup> وقال ياقوت الحموى «أحد أدباء العصر وشعرائه المجيدين، ذاع صيته وسار ذكره»<sup>(٣)</sup> وعلى هذا النحو يذكره كل من تحدث عنه.

ولد ابن سناء الملك بالقاهرة حوالى سنة ٥٥٠ هـ فى أسرة عريقة مرموقة، وكان والده قاضيا للقاهرة، متصلا بالأحداث الجسام التى جرت إذ ذاك وأدت إلى سقوط الدولة الفاطمية، كما كان على اتصال بكبار شخصيات مصر فى ذلك الوقت، وكان لذلك أثره فى توجيه ولده إلى ناحية خاصة فى العلم، إذ بعد أن حفظ ابن سناء الملك القرآن الكريم على الشريف الخطيب المتوفى سنة ٥٦٣ هـ، نراه يتجه إلى الحافظ السلفى ليأخذ عنه الحديث وعلوم أهل السنة والجماعة<sup>(٤)</sup>، مخالفا فى ذلك ما كان متبعا بين أبناء رجال الدولة الفاطمية الذين

(١) ديوان ابن النبيه ص ٥٤.

(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٨٨.

(٣) معجم الأدباء ج ١٩ ص ٢٦٥ (طبعة دار المأمون).

(٤) السيوطى: حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢٥.

كانوا يتوجهون لدراسة مذهب الإسماعيلية، وقد اضطرب ابن سعيد المغربي في حديثه عن ابن سناء الملك إذ رماه بالمغالاة في التشيع<sup>(١)</sup>، ولم يذكر ذلك أحد من مؤرخي ابن سناء الملك ولعل مصدر هذا الاضطراب الذى وقع فيه ابن سعيد، أن أفراد أسرة ابن سناء الملك كانوا من رجال دواوين الفاطميين وكانوا يتمذهبون بالتشيع أسوة بغيرهم من رجال الدولة، أما ابن سناء الملك نفسه فقد كان على مذهب أهل الجماعة والسنة فمن حسن حظه أنه ولد في وقت كانت العقيدة الشيعية قد ضعفت ضعفا شديدا جدا في نفوس الناس، وازداد شك المصريين فيها، كما أن الدولة الفاطمية الشيعية نفسها ظهر عليها الضعف ودلائل الزوال، فلا غرابة أن يحتاط والده في تربيته وتوجيهه ولذلك أرسله إلى الحافظ السلفى ليأخذ عنه علم الحديث بالرغم مما يظهر في شعره بعض التأثير بالتشيع، ومهما يكن من شىء فابن سناء الملك نشأ متفقه في الدين الإسلامى على مذهب أهل السنة، كما أخذ العربية عن ابن برى أكبر علمائها في ذلك العصر، وقد ظهرت ميول ابن سناء الملك للأدب عامة والموشح خاصة في سن مبكرة فهو يقول في مقدمة كتابه دار الطراز عن الموشح «وكننت فى طليعة العمر وفى رجيل السن قد همت بها عشقا وشغفت بها حبا، وصاحبيتها سماعا وعاشرتها حفظا»<sup>(٢)</sup> فهو يصرح هنا بأنه أعجب بالموشحات منذ صغره، سمع منها كثيرا وحفظ كثيرا وهو لا يزال صغير السن.

ويحدثنا العماد الأصفهاني في خريدته أنه كان عند القاضى الفاضل فى خيمته بمرج الدلهمية ثامن عشر ذى القعدة سنة سبعين وخمسائة فأطلعته القاضى على قصيدة كتبها له ابن سناء الملك وذكر أن سن بن سناء الملك لم تبلغ عشرين سنة، فأعجب العماد بنظمه<sup>(٣)</sup>، ويقول العماد مرة أخرى «ثم وصل إلى الشام فى شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وخمسائة فى الخدمة الفاضلية فوجدته فى الذكاء آية، أحرز فى صناعة النثر والنظم غاية، يتلقى عرابة العربية له باليمين راية، قد ألحقه الإقبال الفاضلى فى الفضل قبولا، وجعل طين خاطره على الفطنة مجبولا، وأنا أرجو أن تترقى فى الصناعة رتبته، وتعزز عند تمارى أيامه فى العلم نغبته، وتصفو من الصبا منقبتة، وتروى بماء الدربة رويته، وستكثر فوائده وتؤثر قلائده»<sup>(٤)</sup> فهذا النص إن دل على شىء فإنما يدل على أن ابن سناء الملك أخذ ينظم الشعر

(١) ابن سعيد: المغرب المجلد الثانى ورقة ١٤٧ (نسخة خطية بدار الكتب المصرية).

(٢) ابن سناء الملك: دار الطراز ص ٢٤ (نشر الدكتور جودة الركابى).

(٣) العماد الأصفهاني: خريدة القصر ج ١ ص ٦٤ (نشر الدكتور شوقى ضيف وآخرين).

(٤) نفس المصدر السابق ص ٦٧ . ٦٨

فى صباه، وأنه أحرز فى النثر والنظم غاية وهو لم يزل فى نحو الحادية والعشرين من عمره مما جعل العماد يرجو أن يتقدم فى هذا الفن، ولعل صلة ابن سناء الملك بالقاضى الفاضل كانت من عوامل تقدم شاعرنا فى فنه، وقد صرح ابن سناء الملك فى كتابه «فصوص الفصول» عن تلمذته للقاضى الفاضل بقوله «وهو الغنى وأنا المحتاج إليه، وهو المعطى وأنا الآخذ منه، وهو الأستاذ وأنا التلميذ له والمتعلم منه»<sup>(١)</sup>.

أما سبب هذه الصلة الوشيحة بين الأستاذ والتلميذ فيظهر أنها أتت من صداقة القاضى الفاضل مع جد ووالد ابن سناء الملك، تلك الصداقة الوطيدة التى جعلت القاضى الفاضل ينيب القاضى الرشيد (والد شاعرنا) عنه فى الحكم كلما تغيب عن البلاد، وجعلت القاضى الفاضل يرسل إلى ابنه رسائل يحمله فيها السلام إلى ابن سناء الملك وأبيه وجده، أو يرسل إلى أبى سناء الملك ويذكر ولده؛ فكل هذا يدلنا على أن الصلة بين القاضى الفاضل وبين أسرة أبناء سناء الملك كانت أقوى من صلة النسب، بالرغم مما هو معروف أن ابن سناء الملك وأباه كانا من رجال الديوان الفاضلى، ولا نعلم إلى الآن سبب هذه العلاقة وتطورها إلى أن توطدت إلى هذه الدرجة. بل عندما أرسل ابن سناء الملك إلى القاضى الفاضل يخبره بوفاة زوجه كتب إلى والده «وضاعف كمدى وفاة أم ولد القاضى السعيد وعز على عدم صير أبى الحسن وتجرعه الحرقه عليها، وعز على قلة صبره وشدة جزعه، وهو بحمد الله قد لحق الرجال فى العمر، وأرجو أن يلحق السادة فى العلم والحظ، والله لا ينقص للحضرة عددا، ولا يشكل لها ولدا ولا يكدر من عيشها موردا» كتب ذلك ردا على خطاب ابن سناء الملك إليه يقول «وفى هذا الشهر ماتت أم ولد المملوك، فيالله ماذا فجعت وماذا أوجعت وماذا أبكت، كانت والله قرينة صالحة صحبتها المملوك وصدغاه فى خدى غلام مراهق، وإلى أن شابته منه المفارق، فما رأى منها إلا الصحية الصالحة وإلا المحبة الناصحة، وإلا الديانة الراجحة، وإلا حفظ الغيب، وإلا الإيمان ولا ريب، وإلا السلامة ولا عيب، وإلا صيانة الذيل والجيب، ولولا أن الموت أكرم نزال على الحرم لبكى المملوك وناح وشكى وباح، وغدا فى الأسف وراح»<sup>(٢)</sup>.

فلا غرابة بعد أن علمنا مدى هذه الرابطة بين الفاضل والسعيد من أن نقرأ مدائح السعيد فى الفاضل التى نجدها فى ديوانه وفى دار الطراز، فمن ذلك مثلا قصيدته التى مطلعها:

(١) ابن سناء الملك: فصوص الفصول ص ٣ (نسخة خطية بمكتبتى).

(٢) ابن سناء الملك: فصوص الفصول ص ٧٤.

إن كنت ترغب أن ترانا فالقنا  
وفيها يقول:

أصبحت في مدح الأجل موحدا  
وعدوت في حبي له متشيعا  
ورأيت صحبتة نعيما عاجلا  
ياليت قومي يعلمون بأنني  
أنسيتني أهلى على كلفى بهم  
ويمدحه في قصيدته التى مطلعها:  
عادنى من هوى الأحبة هبد  
فيقول:

لى من راحتيه جنة مأوى  
أنا عبد وخدمتى مدح مولى  
هو قاض لا بل أمير إذا ش  
وفقيه النوال يلقي على الخلد  
أوسعوا جوده ملاما وتفني  
رددوا عدلهم فرد عليهم  
ويطول بى الحديث لو ذكرت جميع مدائح القاضى السعيد فى القاضى الفاضل فديوانه  
ملء بها.

يوم الهياج إذا تشاجرت القنا

ولكم أتتنى من أياديه ثنى  
من ذا رأى متشيعا متسننا  
فرايت بذل النفس فيه هينا  
أدركت من كفيك نادرة المنى  
وذكرت أنى قد نسيت الموطنا<sup>(١)</sup>

فلباسى فيه غرام جديد

وله بالثناء منى خلود  
نجح القصد عنده والقصيد  
ئت لديه من المعالى جنود  
ق عطاياه والغمام معيد  
دا فضاع الملام والتفني  
كل شىء مررد مررد<sup>(٢)</sup>

ويطول بى الحديث لو ذكرت جميع مدائح القاضى السعيد فى القاضى الفاضل فديوانه

وكان القاضى الفاضل نفسه كثير الثناء على ابن سناء الملك يذكر بلاغته وصناعته فى  
النظم ، فمرة كتب إلى والد ابن سناء الملك يقول عنه «أما بلاغته فقد بلغت الغاية وأما قلمه  
فإنه به قط أعطى الراية<sup>(٣)</sup>» .

ويقول مرة أخرى فى رسالة له معلقا على قصيدة ابن سناء الملك السينية التى مطلعها:  
أمجلس لهوى ليس لى منك مجلس لا وحشت لما غاب لى عنك مونس

(١) ديوان ابن سناء الملك (نسخة خطية بمكتبة جامعة القاهرة).

(٢) نفس المرجع السابق.

(٣) ابن سناء الملك : فصوص الفصول ص ٥٦ .

بقوله: نعرف القاضي السعيد وصول كتابه المعطوف على الفائفة الوفائية، وقبلها وصلت السينية السنية، وما يرينا من آية إلا هي أكبر من أختها، وما يجلو علينا عروسا إلا وقد جمع بين حسنها وبختها، وقل ما يجتمع الحسن والبخت ولهذا قيل «وقد تمنى المليحة بالطلاق» وعقائله المليحة لا تطلق ولا تطلق، وقد علفت العرب أدون منها، فلا غرو أن هذه بالقلوب تعلق وبالضلوع تعتق، فالمعلقات بعدها زادت على عدتها، وفضلتها هذه بوجودتها وجدتها... إلخ<sup>(١)</sup>.

فلا غرابة بعد ذلك كله من أن نرى فن القاضي الفاضل يؤثر تأثيرا قويا على فن ابن سناء الملك، وكلاهما أُولع بالزينة اللفظية، وكلاهما أفرط في التلاعب اللفظي، وكلاهما بلغت به المبالغة إلى حد الاستحالة، فلذلك قال القدماء أن ابن سناء الملك من مدرسة القاضي الفاضل، وقد ذكرنا في موضع آخر من هذا الكتاب خطأ نسبة هذه المدرسة للقاضي الفاضل وقلنا إنها امتداد لمدرسة الكتاب الفاطمية، فكل خصائص تلك المدرسة تظهر بجلاء في فن ابن سناء مع ما حدث من إفراط في استخدام تلك الخصائص ويظهر أن ابن سناء الملك كان مثل القاضي الفاضل تماما، كانت له ثروة لفظية استطاع بها أن يتلاعب وأن يكثر من التوريات، فالتورية أصل من أصول فن ابن سناء الملك، كما هي أصل من أصول الفن عند القاضي الفاضل في النثر والشعر، ويحدثنا ابن سناء الملك أنه متأثر أيضا بابن المعتز فهو يقول «والمملوك لم يزل يجرى خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلبه مطالبة فتتعثر عليه وتتعذر، وما آمن المملوك به سدى، ولا آنس ناره إلا لما وجد عندها هدى، ولا مال المملوك إلا إلى طريق من ميل إليه طبعه، ولا سار قلبه إلا إلى من دله عليه سمعه». وكان ابن سناء الملك يعجب بالبحثري، ويعيب على أبي تمام، ولم يجد بين هؤلاء القدماء من شعراء العباسيين من يتخذة أستاذا له في الشعر سوى ابن المعتز، بينما كان القاضي الفاضل ينتقص ابن المعتز ويزعم أن تشبيهاته أخذت من ذى الرمة.

وبالرغم من هذه العلاقة المتينة التي كانت بين الوزير والقاضي - أي بين القاضي الفاضل وابن سناء الملك - فإن ابن سناء الملك مدح الوزير صاحب ابن شكر، وزير الملك العادل، وغريم القاضي الفاضل وعدوه الألد، فهو الذى وصفه القاضي الفاضل بقوله «أما ابن شكر فهو لا يشكر، وإذا ذكر الناس فهو الشىء الذى لا يذكر» وكان ابن شكر يقول عن القاضي الفاضل «ما فى قلبى حسرة إلا من ابن البيسانى، ما تمرغ على عتباتى»

(١) نفس المرجع السابق ص ٥.

وكان ابن القاضى الفاضل يحضر عند الصحاب ابن شكر فيشتمه هذا، فهذا العداء الشديد بين القاضى الفاضل وابن شكر كان واضحا معروفا بين الناس جميعا، ومع ذلك كله كان ابن سناء الملك أحد شعراء ابن شكر فمدحه كما مدحه كثير من شعراء مصر، فهو يقول مثلا فى مدح ابن شكر:

ما على الدهر بعد رؤياك عتب  
هذه النظرة التى كنت أشتاق  
أقبل البدر طالعا بعد أن كان  
أقبل الغوث أقبل الغيث جاء  
زعفران الخلوق فى الأفق برق  
ليست مصر مصرا وقد غاب عنها  
أيها الصحاب الذى أمره الجد  
ويوم كنت أبيض الحال لكن  
بك يعلو الولى يستنزل النصر  
كل نجم فى نور نجمك يخفى  
ما بقى للزمان عندى عتب  
إليها طول الزمان وأصبو  
له حين غاب فى الشرق غرب  
الليث وافى الوزير عاد الخصب  
وشناياها بالتبسم شهب  
لا ولا طعم نيلها العذب عذب  
وأمر الأنعام لهو ولعب  
سودته تلك السنون الشهب  
ينال المنى يهون الصعب  
كل نار فى ضوء نارك تخبو<sup>(١)</sup>

ويخيل إلى أن ابن سناء الملك كان مضطرا إلى مدح الصحاب ابن شكر خوفا من بطشه وجبروته، ولا سيما أن ابن شكر كان يفتن فى تعذيب أعدائه، وخاصة من كان متصلا منهم بالقاضى الفاضل.

ولكن الفن الذى عرف به ابن سناء الملك، وضرب فيه بسهم وافر هو فن الموشحات، وقد ذكرنا كيف أولع بهذا الفن منذ صغره، وحفظ كثيرا من الموشحات المغربية، وقرأ كثيرا منها، مما جعله يفتن بهذا الفن افتنانا، ويضع كتابه دار الطراز، ولأول مرة فى تاريخ الموشح يظهر كتاب يتحدث عن قواعد هذا الفن وأصوله، ويكون المؤلف هو ابن سناء الملك.

وقد حدثنا فى هذا الكتاب عن الموشحات المغربية وأتى بأمثلة عديدة منها مما كان يحفظه عن أهل المغرب وأردف ذلك بألوان من موشحات من صنعته هو. ومن الطريف أن نذكر أن ابن سناء الملك كان يتقن اللغة الفارسية بجانب إتقانه اللغة العربية بل

(١) ديوان ابن سناء الملك.

وضع موشحا بخرجة فارسية وكان المصريون السابقون على عصره والمعاصرون له يضعون الموشحات بخرجات مغربية، ولكن ابن سناء الملك كان لا يتقيد بما تقيد به غيره بل كان يبتكر الخرجات من عنده ولأول مرة فى تاريخ فن الموشحات يضع ابن سناء الملك خرجة فارسية فهو يقول فى هذا الموشح:

فى خديك من صير اللاذ	ثياب الياسمين
ودع ذا فيا حيرة الواشى	من ذا السحر المبين
أهيم ولم لأهيم	وماللى لا أود
غزالا وقد قيل ريم	وقد قالوا أسود
غرامى عليه مقيم	ولى فيه جسد
بمصر وقلبي ببغداد	مع ظبى فى عرين
وكم مات وجدا وكم عاش	فى سمح وطنين
تغربت فيك بمصر	مذأفك الرحيل
للقياك إلا بفكرى	على أنى قتيلى
بسهم للحظك نفاذ	للبيس الدارعين
وبأس لحسنك بطاش	بنسك الطايعين
فيا طول شوقى إليه	ويا همى عليه
وماذا يكون عليه	لو أسرى بى إليه
لأشرب من مرشفيه	وأسقى من يديه
سلافا من الدن كم عاذ	بها القلب الحزين
فى طاس من التبر كم طاش	بها العقل الرصين
أحروم لأنى محروم	ومثلى من يحروم
وحسن حبيبى محروم	ولى قلب رحوم
ووالله إننى مظلوم	ومحبوبى ظلموم
سيمنع ظلمى بنوشاذ	ملوك العالمين
أما بأسهم هدأعراش	ديار الظالمين
وخود كما شبت طفلة	كفصن مايس

أرادت أن تكون خلية      لظبي كانس  
فلما جنت منه قبلة      شدت بالفارسي  
دانستي كي بوسه بمن داد      دها أنكسترين  
أوار كواى دست من باش      بيوسته شبين

والخرجة الفارسية بمعنى «هل تعرف متى قبلنى إن فمها.. كن شاهدى على هذه القبلة التى منحتنى إياها».

فابن سناء الملك أول من مَصَّر خرجة الموشح، وأول من ألف كتابا فى هذا الفن، كما أنه أول من أكثر من كتابة الموشحات، فإن كان ابن سناء الملك عرف بالشعر، فإنى أضعه بين الموشحين، لأن الموشح هو الفن الذى برز فيه ونبغ أكثر من نبوغه فى الشعر. ويظهر أن بنى سناء الملك أصابتهم محنة المصادرة بسبب أبيات قالها مهذب الدين الخيمى الشاعر عندما عذب ابنه وهى:

عصروك أمثال اللصو      ص ولم تفد تلك الأمانة  
فإذا سلمت فخنهم      إن السلامة فى الخيانة  
وافعل كفعل بنى سنا      ء الملك فى مال الخزانة<sup>(١)</sup>

ولكن لم يذكر المؤرخون شيئا عن هذه القصة.



(١) ابن شاعر: فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٤٤.